المشرق
العدد ٥ — ايار سنة ١٩٠٨

يوبيل سيدة لورد

وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

واقت هذه السنة موسمين جليلين لا يمكننا السكوت عنهما لعظم شأنهما في جانب الدين فانّ للمسيحيين عموماً وللكاثوليك خصوصاً في كليهما عبرًا اذ يعزّزان فيهم روح التُّقى ويمثلان في قلوبهم عواطف الشكر والحبّ لتلك التي طالما غمرتهم ولم تزل بنعمها السابغة وبركاتها الدارّة. فالموسم الاول يوبيل ظهور السيدة البتول الطاهرة في مدينة لورد من اعمال فرنسة قبل خمسين سنة. امّا الثاني فموسم حديث كان موعدهُ في الثالث من هذا الشهر المبارك شهر أيار المختصّ باكرام ذات العذراء الشريفة بتدشين اوّل تمثال يُنصب في لبنان لشخصها الكريم. فيليق بنا ايضاً ان نقرن صوتنا الضعيف الى اصوات كلّ المتعبدين لوالدة الاله فنكتب هذا الفصل الموجز في ذكر العيدين وبيان خطرهما لتسمو في قلوب اهل الوطن العزيز الثقة بشفاعة العذراء المشفعة فيستلفتوا انظار تلك الامّ الشفوقة ويستمطروا من جودها الخيرات الروحيّة والزمنيّة فتبارك عيالهم وتوفق امورهم وتساعدهم في نوال سعادة الدارين

١ يوبيل سيدة لورد

في ٨ كانون الاوّل من السنة ١٨٥٤ اعلن بيوس التاسع بملْ سلطتهِ الروحيَّة كنائب السيد المسيح وخلف القديس بطرس هامة الرسل ومعلم الكنيسة الاعلى بانَّ البتول العذراء مريم ابنة القديسين يواكيم وحنَّة حُبل بها بلا دنس الخطيَّة الجدّيَّة التي ورثها الجنس البشري كافَّة منذ تجاوز الابوان الاوّلان وصيَّة الرب في الفردوس وذلك بنعمةٍ خصوصيَّة منهُ تعالى الذي صانها من تلك الوصمة الشائنة لسابق نظرهِ الى استحقاقات ابنهِ الوحيد السيد المسيح المولود منها

فتهلّل وتقنز العالم الكاثوليكيّ طرباً وصرخ مذعناً لتعليمهِ: «قد نطقت رومية وخلقها عين الصواب». ولا غرو فان هذا القول يوافق بالتمام تعاليم الكنيسة والآباء شرقاً وغرباً منذ عهد الحواريين كما تشهد على ذلك الشهادات المقرَّرة في بطون التواريخ وفي الكتب الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة (١

على ان السيدة البتول لم تكتفِ من سموّ عرشها في السماء ان تبتسم لتحيَّة اهل الارض وتتقبَّل تطويب الشعوب لها بسبب تلك النعمة الفريدة التي خصَّها الله بها وحدها بين ابناء آدم بل ارادت ان تصرّح بشكرها للكنيسة وتفتح لاولادها ينابيع جديدة من الخيرات والنعم يستقون من مواردها مياهاً تتجس للحياة الابديَّة

في ضحى اليوم الحادي عشر من شباط من السنة ١٨٥٨ وهو الخميس من الجمعة الواقعة قبل الصوم خرجت ثلاث فتيات من اهل مدينة صغيرة تُدعى لورد شهيرة بحصنها القديم في مقاطعة جبال پيريناي العليا من اعمال فرنسة ليجمعن حطباً يابساً على مسافة ربع ساعة من البلدة. وكانت اثنتان منهنَّ اختين تُدعيان برنادت ومريم سوبيروس والثالثة ابنة جارهما اسمها حنة أبادي وكانت هذه اكبرهنَّ عمرها خمس عشرة سنة. وكانت الصغرى مريم. امَّا برنادت الوسطى فكان عمرها اربع عشرة سنة وهي اضعفهنَّ بنية والطفهنَّ مزاجاً وارقهنَّ طبعاً وكان ابواها سلَّماها الى بعض الاصحاب في قرية

---

١) راجع مقالتنا المنونة «عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقية» في المشرق (٧: ٢٩٥ و ٤١١)

قريبة اسمها برتراس ليهتنوا بتربيتها فعهد هؤلاء اليها لمّا كبرت رعية قطيع صغير من الخراف فقضت حياتها في السذاجة والتقى لا تعرف القراءة والكتابة وانما كانت سلّمت من امها الصلوات العادية فتلوها بنشاط. وبقيت برنادات في برتراس الى ان حان الوقت لتستعدّ لمناولتها الاولى فاستدعاها ابواها الى لورد لتحضر شرح التعليم المسيحيّ في كنيستها. وفي تلك الاثناء بعد اسبوعين من رجوعها خرجت حاطبة كما سبق

يجري قريباً من لورد نهر يُدعى الگاف على ضفّتيه قطع الحطب المتكسر الساقط من اشجار الغابات المجاورة فسارت الفتيات الثلاث وجمعن منهُ ما تيسّر لهنّ الى ان اصبن منهُ كميّة اوفر عند صخور هناك اسمها صخور مسابيال فاسرعت حنّة ومريم الى قطع جدول مياه متصدعة تجري ثمّ. وسبقتا برنادات الى جمع حزم الحطب. لمّا هذه فتريّثت قليلًا واخذت تقلع حذاءها وجواربها لتتبع رفيقتيها. وهي لكذلك اذ سمعت على بغتة صوت ريح شديدة مع انّ السماء كانت في ذلك اليوم رائقة ساكنة الريح فاندهشت الفتاة والتفتت الى الوراء. فنظرت شجر الغاب لا تبدي حراكًا فاطمأنّت بالها وانتهت من خلع نعليها لتقطع الماء واذا بالريح هبّت ثانية بشدّة ونور ساطع تراءى لها فوق رأسها في خلال الصخرة في شبه كوة هناك وكان في وسط النور كأنها ملتحفة به سيّدة فائقة الجمال في ريعان شبابها تأخذ بمجامع القلوب وعلى محيّاها تلوح كل امارات العزّ والجلال مع عواطف الرقّة والحنوّ وكانت متشحة بثوب ابيض كالثلج سابغ الذيل وهي متنطقة بنطاق ازرق مشدود في وسطها يتحدّر طرفاه من امامها. وكان على راسها منديل ابيض ينزل من وراء كتفيها الى ذيل ثوبها وكان على ذراعها الايمن سبحة الوردية ذات الحبوب الفضيّة اما رجلاها فلم يغطهما الثوب وانما كانت تزينهما وردتان زهيتان بلون ذهبي

حدّث ولا حرج بما اصاب الفتاة من الهلع والحيرة لدى نظرها لهذا المرأى العجيب اذ شعرت بأن قواها كادت تخور فانحنت جاثية وأخرجت من جيبها سبحة الصلاة لتستمد عونًا من الله في هذا الواقع الغريب. وكانت برنادات مع خوفها لا تحيد بنظرها عن تلك السيدة التي كانت تفتن قلبها بمحاسنها الفائقة لكل وصف. لمّا السيدة فكانت تنظر اليها بكل تعطف وحنان وتبتسم لكل حركاتها وتدعوها اليها. فانتشت بذلك

قوى الفتاة واخذت تصلي بحرارة سبحتها والسيدة امامها حتى مرَّ عليها ربع ساعة. فحينئذٍ توارت الصورة عن عيانها. وبقيت الابنة وحدها عند مسيل الماء فقطعتهُ ولحقت برفيقتيها وهي كلها متطهرة بشذا تلك الرؤيا حتى الخت عليها رفيقتاها بان تخبرهما ما جرى لها ففعلت وبلغ الخبر ابويها فنسبا الامر الى الوهم والتخيل فلم يعيراه بالًا

بعد ثلاثة ايام كان الاحد فاسترخصت الابنة من والدتها بان تعود الى مكان الرؤيا عند صخور مسابال وكانت أمها انكرت عليها ذلك غير مرة حتى لبَّت اخيرًا الى دعوتها وسمحت لها فرافقها ما خلا اختها مريم وابنة جارتها حنَّة بعضُ لداتها اللواتي سمعن بالحادث العجيب ورغبن في مشاهدة المكان الذي جرت فيه الرؤيا فوصلن اليه ولم يجدن شيئاً خارق العادة فقالت لهنَّ برنادات : دعنا نتلو سبحة العذراء. فجثون على الحضيض وجعلن يصلّين فبعد برهة قليلة تغيَّر وجه الابنة وشخصت الى المكان حيث رأت السيدة المرَّة الاولى فصرخت: ها هي ذا وانَّها تنظر اليكنَّ. فكانت الفتيات يحدقنَ بابصارهنَّ ولا يرين شيئاً لكنَّهن تحقَّقن بنعمة رفيقتهنَّ المغبوطة واستحرونَ بالصلاة معها. وكانت احدى رفيقاتها أتت بماء مصلى خوفًا من شرٍّ يصيبهنَّ في المغارة فجعلت الماء بين يدي برنادات واوعزت اليها بان ترش منهُ على الرؤيا قائلة: «ان كنت من عند الله فهلمي» فردَّدتها برنادات وكانت السيدة تنظر الى فعلها بتبسُّم وبهجة وبقيت بازائها تملأ منها ابصارها وتنعم بها قلبها الى ان تمت صلاة الوردية فاحتجبت عن نظرها

انتشر خبر هذا الحادث الثاني في لورد وكان معظم الذين يسمعون به يعتبرونه كفعل صبياني وكتيجة مخيلة شديدة التأثير فاخذ الناس يتواردون الى بيت الفتاة فيسألونها عمَّا حدث لها فتخبر بالرؤيا بكل سذاجة وتقصُّ بما رأت وكل من يسمعها يقرُّ بصدقها الَّا انَّ اكثرهم كانوا يعزونهُ الى التخيلات. وكانت كلما تذهب الى مغارة مسابال يزداد عدد الذين يتعقَّبون آثارها ليعاينوا ما يجري لها ويقفوا على صحَّة قولها فيعودون والسنتهم تلهجُ بتلك الامور الغريبة ولا يدرون كيف يؤوّلون تلك الاسرار

وفي تلك الاثناء تكرَّرت رؤى السيدة لابنة سوبيروس دفعة ثالثة في ١٨ شباط وهي المرَّة الاولى التي كلَّمت السيدة المجهولة الفتاةَ الأميَّة وقالت لها انها تريد ان تأتي الى المغارة هي مع الجموع الغفيرة مدَّة خمسة عشر يومًا متوالية. ففعلت برنادات ما أُمرت به وأخبرت كل من امكنها بوصاة السيدة

فكان اليوم الاوّل من ذينك الاسبوعين في ١٩ شباط ونهاية الأمد المعيّن في ٤ آذار فكانت الفتاة تذهب الى مغارة مسّابيال وتباشر بالصلاة مع القوم القادمين معها فلا تلبث السيدة ان تتراءى لها كما رأتها سابقاً الّا اليوم ٢٢ من شباط فانّ الابنة لم ترَ شيئاً. وكانت السيدة في كل رؤية من رؤاها ترشد الفتاة فتارة تعلّمها كيف تتلو صلاتها وتارة تأمرها بان تبلّغ الحضور رغبتها في توبتهم وانابتهم الى الله مع تحريضهما للفتاة بان تصلي لاجل الخطأة. وفي ٢٣ شباط قالت لها السيدة بأنها ترغب ان يبني الكهنة هناك كنيسة ويحتفلوا فيها بالطرافات الدينيّة. وفي ٢٥ منهُ دلّتها السيدة على مكان يابس بازاء المغارة وأمرتها ان تشرب من ينبوعه وحيث لم يكن هناك ينبوع اخذت الابنة تحفر التراب والرمل باصابعها فنبع ماء عكر جرعت منهُ بعض جرعات ثمّ تبجّس الماء وما كان المساء حتى صار النبع يتدفق وجرت مياههُ الطيبة الى نهر الكاف

وفي اليوم الاخير من الاسبوعين كان عدد الحضور يربي على عشرين الفاً حضروا مع بريادات من لورد والقرى المجاورة. فكرّرت السيدة للفتاة امرها بان تُشيّد هناك كنيسة تجري فيها الطرافات الدينية

وكانت تفاصيل هذه الماجريات بلغت مسامع الكهنوت فكتب الاب بيرامسال خوري مدينة لورد الى اسقفه السيد برتران لورنس في مدينة تارب يعلمهُ بحوادث مغارة مسّابيال ويرجوهُ بان يبيّن لهُ الخطة التي ينبغي لهُ الجري عليها. فكان جواب السيد برتران بانهُ يجب على ارباب الدين ان يجروا في ذلك بفطنة كليّة وامر بان لا احد منهم يتظاهر البتة في تنشيط الفتاة وان يمتنعوا عن الاختلاط بالقوم المتردّدين الى المغارة ريثما يصير الفحص القانوني عن تلك الحوادث. والحقّ يقال انّ ارباب الحكومة واعداء الكنيسة نفسهم اثنوا على حكمة الاسقف وفطنة كاهن لورد وبقيّة الاكليروس في اثناء تلك الاحداث. وكان الاكليريكيّون عموماً لا يصدّقون صحتها

اما السلطة الحاكمة فانّها اضطربت لوقائع لورد اي اضطراب لاسيما بعد أن تباحث فيها اعداء الدين وكتبة الجرائد فكانوا كلهم صوتاً واحداً بانّ تلك الروى شعوذة وخداع او على الاقل نتيجة امراض دماغيّة او عصبيّة في الفتاة. فأُرسل المفوضون لاستنطاق الفتاة من عمّال الحكومة ومن فحلس الاطبّاء ومن علماء الفيسولوجية فألقوا عليها الاسئلة ودسّوا لسذاجتها الدسائس وفحصوا حالتها الصحيّة فكانوا كلّهم يرجعون

خائبين خاسرين اذ لا يجدوا لها فيها غاية بشرية فلم ترغب في المال ولم تحرص على شهرة وهي ابنة امية لا تعرف الّا لهجة بلدها وتصف ما رأت لا تزيد عليهِ حرفاً ولا تؤكد شيئاً مما جهلتهُ بل تجيب بلسان صادق يلوح في كل مشاعرها: لا ادري . اما مزاجها فمع ضعفهِ لم يكن مبلواً بشيءٍ من الاسقام العصبية كما انَّ دماغها كان سليماً لا يُرى في كلامها او حركاتها شيءٌ يدلُّ على هوس او خبال او استهواء ولمتحنها بعضهم بالمراصد فازدرت بهم والتجأ غيرهم الى الوعيد فوجدوهـا ثبتة القلب صلبة الجنان . وفحص العلماء الماء الذي تبجس قريباً من صخور مسابيال بعد ان تحققوا من كل اهل لورد انهُ لم يكن هناك نبع البتة فوجدوا انَّ تركيب الماء كيموياً كتركيب كل المياه الجبلية في جبـال پيريناي وانهُ ماء طيب شروب كبقية المياه . وبعد اللتيا والتي لم يجسر عمّال الحكومة من التعرُّض للفتاة ولا للذاهبين الى المغارة اذ كان كل شيءٍ يهدوء ونظـام لم يحدث مطلقاً امر يكدر الراحة العمومية

وعادت برنادات بعد ذلك مراراً الى صخور مسابيال حيث كانت تجذبها قوَّة دافعةٌ لا تستطيع مقاومتهـا . فظهرت لها السيدة في ثاني يوم عيد الفصح في ٥ نيسان وكان في يد الفتاة شمعة مضيئة بلغ لهيبها اصابعها فلم تشعر البتَّة بالحريق طالما كانت السيدة امامها . واشتهر من ذلك رؤيا يوم عيد البشـارة في ٢٥ آذار من السنة حيث ألحَّت الفتاة على السيدة بان تُعلن لها اسمها وكانت الى ذلك اليوم لم تجترئ لتلقي عليها هذا السؤال . فكان جواب الرؤيا بالافرنسية والابنة لم تفهم من تلك اللغة الّا القليل فكرَّرتهُ كما سمعتهُ دون ان تدرك معناهُ . وتعريبهُ : « أنا التي حُبل بها بلا دنس » . قالت ذلك بعد ان ضمَّت يديها على زيّ المصلي ورفَّعت عينيها الى السماء . فلم يبق شك لاحد من الحضور انَّها البتول الطاهرة مريم

والرؤيا الاخيرة التي حصلت عليها برنادات انَّما وقعت في ١٦ تموز يوم عيد سيدة الكرمل ظهرت مريم للفتاة ونظرت اليها مليًّا دون ان تكلمها ثمَّ اختفت . لما راسها كانها تودّعها ولم تعد تظهر لها

وكانت في مطاوي تلك الشهور قد ابتدأت المعجزات الباهرة والخوارق العجيبـة تظهر عند صخور مسابيال فاخذ المرضى يتواردون الى المزار فيشربون من مـاء النبع الجديد ويغتسلون فيهِ فيعود منهم قومٌ بالشفاء التامّ

ثم عادت السلطتان الروحية والمدنيّة الى البحث عن تلك الامور للاستدلال على صحّتها او كذبها. أمّا السلطة الروحيّة فان الاسقف اختار بعض افراد اكليروسه الممتازين بفضلهم وفضيلتهم وألحق بلجنتهم بعض العالمين من اطبـاء وغيرهم فعقدوا لذلك الجلسات المتعدّدة واستنطقوا الفتاة وكلّ من كان يمكنهُ ان يفيدهم عن امر الرؤى. فطال بحثهم وتروّيهم الى ان كاد يملّ الناس من تدقيقهم وكثرة تفتيشهم عن حوادث عدّوها اوضح من النور الى أن صرّح الاسقف لورنس بعد اربع سنوات انّ الرؤى حقيقة لا ريب فيها

اما السلطة المدنيّة فقامت وقعدت لتلك الحوادث حتى اهتمّ لها حاكم مقاطعـة پيرينايي المسمى ماسي ووزير الاديان المسيو رولان واصدر بعض العمال امرًا ليمنع الناس من زيارة المكان ومن شرب النبع الجديد غير انّ كل هذه المناهضـات زادت الامر شيوعاً حتى صار يبحث فيه القاصي والداني وتزايدت رغبة كثيرين في معاينة الحل وكان المرضى يأتون زرافات ووحداناً من كلّ فجّ فيشفون حتى اضطرّ العامل بالقـاء امره وتحقّق الحكام بانهم لا يستطيعون مقاومة ارادة تعالى

ومن اعظم ما جرى حينئذٍ من الآيات شفاء ولدٍ صغير عمرهُ سنتان كان ابواهُ منذ مولده يبذلان النفس والنفيس لحفظه في الحياة الى ان اهملهُ الاطباء آيسين من علاجه لسقم بنيته وتراكم الاوجاع عليه. ففي احد الايام اذ كان ابوه ينتظر من دقيقة الى أخرى ان يسلم الروح قامت امّهُ كانهُ لاح لها برقٌ من الرجاء. فلفّت الولد في صدرتها وخرجت مسرعة لا تلوي على شيء فاتجهت نحو المغارة واقتربت من حوض النبع المنبجس حديثاً فحلّت قماطات الولد امام الحضور وهمّت بتغطيسه في ذلك الماء الصقيع. فحاول البعض ان يمنعوها وابنها على آخر رمق لئلّا تقتله ببردها فأبت صارخة: ان مريم العذراء قادرة بان تحيي ولدي. ثمّ غطست ذلك الطفل في الحوض وابقتهُ ربع ساعة في الماء بينما كانت الصلاة تخرج من لسانها الى البتول كأسهمة النار ثمّ اخرجتهُ وابوهُ يقول: قد مـات الغلام. لكنّ الامّ رجعت الى بيتها بحملها الخفيف واضجعتهُ في سريره وواصلت صلاتها عندهُ فما كان بعد قليل من امر الولد الّا ان تلوّن وجههُ بالحمرة وفتح عينيـه متبسماً لأمه كانهُ افاق من سبات عميق وقام بتمام الصحة وعاش مذ ذاك الحين بالعافية التامة. وشهد ثلاثة من نُطس الاطباء بان شفاءه لم يُمكن تعليلهُ بسببٍ طبيعيّ وان غمس

طفل منازع في ماء جليدي مدَّة ربع ساعة كان كافياً لقتله قتلاً وحياً. وهذا الحادث الذي جرى ثمانية ايام بعد نبوع الماء في مغارة مسابيال انتشر خبرهُ في كل ناحية كانتشار البرق. وعقبهُ بعد قليل شفاء شاب يُدعى «هنري بوسكه» كان مصاباً بقرح في ترقوته يسيل منهُ القيح وايس الاطباء من علاجه فشفي تماماً في ٢٨ نيسان من تلك السنة بعد ان غسل بماء النبع جرحهُ العياء ففي غدِ ذلك النهار التحم اللحم ولم يعد يظهر من الجرح الَّا جابةٌ يابسة بقيت كعلامة محسوسة لشفائه العجيب

فهاتان الآيتان وايات أُخرى كثيرة أفحمت المعترضين والناكرين فصار اسم لورد كمستشفى سماوي يقصدهُ ذوو العاهات لينالوا من السيدة العذراء دواء لعلاهم على اختلاف اسبابها وضروب مظاهرها

وبعد ان نجز الفحص القانوني عن صحَّة تلك الرؤيا والمعجزات المتعدّدة التي ظهرت في تلك الناحية بموجب قرار من الاسقف الحالي السيد لورنس شمَّر الاهلون عن ساعد الجدّ لتحقيق مرغوب العذراء الظاهرة وبناء هيكل عظيم فوق تلك الصخور. فلم يدَّخر المؤمنون وسعهم في وضع اثر جليل يُعدّ كآية هندسيَّة في عصرنا - فانتدب الرؤساء اربع المهندسين ليخططوا لهم رسم كنيسة تنطق في الاجيال التالية عن شكرهم لملكة السماء. فشيّدت كنيسة فخيمة لا ينقصها شيءٌ من البهاء والجلال بلغت نفقاتها عدَّة ملايين من الفرنكات كان يتبرَّع بها بجلب القلب كلُّ المسيحيين من فرنسة وبقية البلاد حتى اقصاها بعدًا

ومن الحفلات البهيجة التي عُقدت في السنة ١٨٦٤ في ٤ نيسان نصبُ تمثال عظيم أُقيم في مغارة لورد حيث ظهرت العذراء. وكان التمثال من الاعمال الصناعية الجميلة على هيئة السيدة كما تراءت لبرنادت وكما استطاعت الفتاة وصفها للنقَّاش بعد معاينتها مرارًا. وكان الحضور الذين قدموا لهذه الرتبة أُلوفاً مؤلفة

وفي السنة ١٨٦٦ اتمَّ البناة قسم الكنيسة الاسفل الذي كان كسرب يُنزل اليه بالدرج فجرت حفلة شائقة لتدشينه في ثاني يوم العنصرة من السنة ١٨٦٦ واخذ الكهنة منذ ذلك الحين يقيمون فيه الرتب ريثما تنتهي العمارة العليا

وكان التعبُّد لسيدة لورد قد اتسع نطاقاً في تلك الاثناء بما يحدث كل يوم من الآيات العجيبة. نخص منها بالذكر شفاء احد مشاهير الكتبة لسمهُ هنري لاسار الذي

شفي بغتةً من داء عياء في بصره بعد غسل عينيه بماء لورد. في ١٠ تشرين الاوّل من السنة ١٨٦٢ فاراد بعد تلك النعمة ان يبدي شكرهُ لملكة السماء فسطّر تاريخ سيدة لورد وكل تفاصيل ظهورها . وهو تأليف نفيس كُرّر طبعهُ نيفاً و١٥٠ مرّة ونُقل الى اغلب اللغات الشعوب المتمدّنة

وفي السنة ١٨٧٧ في ثاني يوم من تموز سمح الاب الاقدس الحبر الاعظم بيوس التاسع بوضع اكليل بهي من الحجارة الكريمة على هامة التمثال المنصوب سابقاً. وفي غد ذلك اليوم دُشنت الكنيسة العليا على حسب الطقوس المؤثرة التي تُقام في تكريس اكبر الكنائس. وهاتان الرتبتان قام بهما احد القصاد الرسوليين الموفد من قبل كبير الاحبار مع نيافة كردينال باريس وخمسة وثلاثين مطراناً او اسقفاً وجم غفير من الشعوب لا يحصى عديدهم

وفي السنة ١٨٨٣ وُضع الحجر الاوّل لكنيسة أُخرى على اسم سيدة الوردية. فجرت اذ ذاك مشاهد تقوية قلّما رأى مثلها الراوون في الاعصار السابقة. وكانت تلك السنة موافقة للعام الخامس والعشرين من ظهور السيدة فقدم الى لورد عدد من الزوّار جاوز المئات من الالوف . ولما انتهت كنيسة الوردية بعد ست سنوات تجدّدت تلك مجالي التقى والعبادة بل زاد رونقها اذ منح عظيم الاحبار تلك الكنيسة امتيازات كنائس رومية الملكيّة. واقام لذكر ظهور العذراء عيداً سنوياً في ١١ شباط مع نافور خاص لقداسه

على انّ الحفلات السابقة كلها مع عزّها وجلالها ورتبها الشريفة سوف تفوق عليها المظاهرات التي يعدُّها الكاثوليك في هذه السنة الواقع فيها اليوبيل الخمسيني لظهور السيدة. وقد باشر الزوّار منذ شهر شباط المنصرم بالسياحات التقويّة الى لورد يقدمون اليها مع دعائهم من كل اوب ليربحوا الغفارين والنعم التي تتبع بها رأس الكنيسة الاعلى بيوس العاشر. فنتمنّى ان يكون لشرقنا العزيز لجنات خصوصية تمثّل بلادنا عند اقدام تلك التي تنبأت بان الشعوب كلها سوف تطوّبها

*

هذه خلاصة اخبار سيدة لورد غير انّ الذي رويناهُ من تاريخ هذا المزار الشريف ليس الّا تمهيداً الى ما هو اعظم شاناً واجلّ خطورةً فنقول:

ورث القرن التاسع عشر من خلفه الجيل الاسبق روح الزندقة والكفر فكان الطبيعيون بعد الاكتشافات المستحدثة في مواليد الكون الثلاثة قصروا نظرهم الى عالم الطبيعة لا يكادون يسلمون بحقيقة شيء يعلو طور مشاعرهم وادراكهم الحسي. وعليه نظموا اسرار البيعة ومعتقدات الدين في سلك الاوهام لأنّ حواسهم ما كانت تدرك مثل هذه التعاليم الفائقة للعقل البشري. وكذلك المعجزات التي تروي الكتب المنزلة وتراجم اولياء الله لانها تؤيد صحة تلك العقائد وتريح عنها برقع الريب والنكران عدّها هؤلاء المدّعون بالعلم أنها كلها نتيجة الخيلات او هي اعمال طبيعيّة محضة نسبها السذّج على زعمهم الى اسباب علوية لجهلهم بقوى الطبيعة الخفيّة كالمغناطيس والكهربا والسيّالات اللطيفة

فلما ظهرت العذراء الشريفة في لورد وجرى فيها من الخوارق ما جرى وقف العلم الكاذب حائرًا مرتابًا وكان اوّل ما فعل لمناهضة تلك الاعمال الفائقة للطبيعة انه التجأ الى الهزء والسخرية ظنًّا منه انها شعوذة وليس لابطال الشعوذة كالازدراء بها والاستخفاف بذويها. الّا انّ هذا السلاح لم يَقوَ هذه المرّة على غلبة الحقيقة وكان عدد الشهود الاثبات الذين رأوا وسمعوا واختبروا الامور عن كثب أوفر واصدق من أن تستطيع السخرية نفي شهاداتهم

فلما حبط مسعى هؤلاء المكابرين من هذا الجانب طلبوا لهم بابًا آخر قرعوه مؤملين النجاح فاخذوا يقرّفون الفتاة برتادات تارة ينسبونها واهلها الى الاغراض الخسيسة كالطمع في المال او الرغبة في الشهرة وتارة يصوّرونها في اعين الناس كاذبة ممتوّهة بالامراض العصبيّة والتشويش الدماغي الى غير ذلك مما سوّلهُ لهم بغضهم للامور الفائقة للاطوار الطبيعيّة

الّا انّ هذه التُّهم كلها لم تثبت على التفتيش المدقّق الذي قامت به الحكومة الحاميّة فكثيرًا ما امتحنوا الفتاة واهلها بالهبات الماليّة فلم يقبلوا من ذلك ولا فلسًا وبقوا في عيشتهم الساذجة يتعاطون الفلاحة والطحانة. وكان أبوا الفتاة في مقدمة الذين عارضوها في صحّة رؤاها ولم يفتا حتى لاح لهم الامر جليًّا فخافا ان يقاوما ارادة الله اذا ما تعرّضا لابنتهما. امّا هذه فانّ ارباب الدين كاهل الدولة وعمّالها افرغوا كنانة الجهد في فحص حالتها الادبيّة ومزاجها الطبيعيّ واخلاقها واستعانوا لذلك بالاطباء.

رائعة العالم فكان جوابهم بالاتفاق انَّ الفتاة ذات آداب مشكورة صحيحة المزاج رصينة العقل ايَّة الخلق . وبعد ان انتهت الرؤى التي عاينتها بين شهري شباط وتموز كانت تأتي الى المغارة كغيرها من الاهلين تصلي مثلهم وتختلط معهم دون ان تطلب لنفسها امتيازًا وبقيت على بساطتها وتقاها ودماثة اخلاقها الى ان بلغت الرابعة والعشرين من سنها فدخلت وقتئذٍ اعني سنة ١٨٦٩ في دير راهبات بنات اللواتي يخدمن المرضى في المستشفيات وعاشت بينهنَّ عشر سنوات وهي قدوة حيَّة لكل الفضائل الرهبانيَّة لاسيما التواضع الذي كان يجعلها تستكف من كل مجد فارغ او جاهٍ زمنيّ . وكانت وفاتها كحياتها بكل هدوء وطمأنينة بالٍ وسذاجة مزوَّدة بكل اسرار الكنيسة وقضت نحبها في ١٦ نيسان ١٨٧٩ في غدوة عيد الفصح حيث الكهنة يترنمون بنشيد التهليل والانتصار كأنَّ الله والسيدة العذراء ارادا ان يشركاها بالافراح السرمدية في يوم فوز ابن الله بالمجد بعد كسره لشوكة الموت . فكانت حياة برنادت ووفاتها جوابًا مسكتًا لكل من تجاسر ونسب اليها شيئًا من الغايات البشريَّة

لكنَّ اعداء الدين اذ راوا هذا الباب الاخر مرصدًا في وجههم لاسيما انَّ نبعًا جديدًا كان تفجَّر في محل لم يُعهد فيه الماء قبلًا وانَّ كثيرين كانوا يجدون فيه الشفاء من عاهاتهم عدلوا عن اقوالهم السابقة الى نسبة العلاجات الى خواص المياه التي زعموا انها ذات مزايا طبيعيَّة عجيبة . وقد اسلفنا انَّ ذلك الكلام رماه اصحابهُ على عواهنه وبان فسادهُ بفحص العلماء الأثبات للماء كيميًا اذ وجدوها كبقيَّة المياه الجبلية الطيبة الصافية لا تمتاز عنها في شيء البتة . فانَّ العلاج بالماء ينفع في كل البلاد ولكن لا يمكنه في لورد وحدها ان يأتي بتلك المفاعيل الغريبة التي لا نظير لها في بقيَّة انحاء المعمور

فلم يبق بعد ذلك لاولئك المتشدقين الَّا أن يلتجئوا الى الاستهواء فزعموا بان تلك العلاجات المذهلة الحيرة التي تجري في لورد انما سببها التأثير العظيم الذي يُصيب المرضى في لورد فيزيد رغبتهم في الشفاء وجهد نفسهم على توالي الصحة بجديان الطبيعة قوى عجيبة تجعلها تغالب الامراض وتبرئ الاسقام . ذلك آخر ما وجدهُ الملحدون لنكران المعجزات ونفي القوى غير المدركة التي تظهر في لورد مفاعيلها الباهرة شاء اعداء الدين لم أبوا . لكنَّ هذا الجواب كالاجوبة السابقة لا يجديهم نفعًا لانَّ الاستهواء مهما عظمت قوَّتهُ لا يعمل الَّا في المصابين ببعض الآلام العصبيَّة ولا يستطيع البتَّة في شفاء كسر

او جرح او يغيّر حالة الاعضاء فيردّ اليها المفقود منها او يفتح دملًا او يزيل ورمًا او ينظّف الدم من جراثيمه الفاسدة او يعيد لاعمى بصره ولاصمّ سمعهُ اللهمّ الّا بعد المعالجات الطويلة الشاقة. ويا ليت شعري كيف يعمل الاستهواء في اطفال صغار لا يقوون على فعل عقليّ. وفي لورد ترى كل يوم امراضًا متباينة من كلّ ضروب الاسقام تبرأ بمجرد الصلاة في محل ظهور العذراء او عند الطواف بالقربان الأقدس او بالاغتسال في حوض ماء الينبوع العجيب. وهذه الشفاءات ينالها الناس دون اختلاف في الاعمار كالاطفال والشيوخ والكهول او في الاديان من يهود وبروتستانت وغيرهم او في تباين العناصر والبلاد او اجناس الامراض كما سترى

ومن اغرب ما يرى في لورد ديوان طبي تشكل منذ السنة ١٨٨٢ لهُ اعضاء من الاطباء الرسميين الذين يعقدون جلساتٍ منظّمة في اوقات معلومة يحضرون فيها فحص المرضى الواردين الى المدينة من كل اقطار المسكونة. وهذا الديوان الطبي علنيٌّ يمكن كلّ من شاء من الاطباء والعلماء من اي بلد او طائفة او دين كان حضور جلساته والتقارير عنهم نشرةٌ تُطبع فيها نتائج فحص الاطباء وحكمهم في حالة المرضى قبل التجائهم الى البتول في مزارها او الاغتسال بنبعها ثم يفحصون المرضى بعد شفائهم ان حصل الشفاء ويقابلون بين حالتيه من مرض وشفاء دون ان يبدوا حكمًا في المعجزات تاركين ذلك الى السلطة الروحيّة ولا يكتفون بهذا بل يواصلون المخابرات مع المرضى المبرئين مدّة سنين طويلة ليتحققوا انّ الامراض لم تعُد تفتك باصحابها ثانية. وهذه النشرة الصحيّة أصبحت اليوم مجموعًا فريدًا في جنسه لا يمكن احدًا ان يطلع على مضامينها الرسمية دون ان يصرخ: انّ اصبع الله هاهنا

قال الخوري برترين في كتابه المعنون بتاريخ انتقادي لحوادث لورد (١: هذا جدول للاطباء الذين حضروا جلسات الديوان الطبيّ والمرضى الذين تقرّر شفاؤهم رسميًا في الخمسة عشرة سنة الاولى بعد تشكيل الديوان المذكور: بلغ عدد الاطباء الذين اختلطوا باعضاء الديوان الطبي في لورد في تلك المدّة ٢٧١٢ طبيبًا منهم ٤٥١ من البلاد الاجنبيّة والباقون فرنسويون: ومن جملة الاطباء ثلاثة من اساتذة مكتب

(١) L'abbé Bertrin: Histoire critique des événements de Lourdes. *Paris, Lecoffre.* 1905

باريس و٢٦ من اساتذة مكاتب فرنسة الاخرى و١٤ من اساتذة مكاتب البلاد الاجنبيَّة و٤٨ من اطبـاء او جرَّاحي المستشفيات العموميَّة و٧٥ من اللاحقين بهؤلاء الاطبَّاء والمساعدين لهم . ولكلهم شهادات صريحة نشروهـا بالطبع اعلنوا فيها بانَّ الدكتور بولساري (Dr Boissarie) رئيس الديوان الطبي في لورد والاطباء المؤزرين لهُ كلهم يجرون في تشخيصهم على طريقـة علميَّة محضة فيجب على كل عاقل ان يقبل شهاداتهم ويقطع النظر في مطالعة كتاباتهم عن كلّ تحمُّس ديني

امَّا عدد المرضى الذين فحصهم هؤلاء الاطباء وتحقَّقوا شفاءهم الرسمي في تلك المدَّة فكان ٢٦٦٢ (هذا فضلًا عن الوفر غيرهم شفوا من اجناس الامراض دون ان يعرضوا نفوسهم على الديوان الطبيّ) فمنهم ٥٧١ برئوا من السلّ والتدرُّن و٣٩٤ من امراض الجهاز الهضميّ و٦٧ من امراض أجهزة دوران الدم و٣٤ من امراض القلب الثقيلة و٩٩ من امراض أجهزة التنفس كالبرسان وذات الجنب و٤١ من ادواء معضلة في الجهاز البوليّ و٣٨٣ من الامراض الدماغية كالجنون وما شاكلهُ و٩٦ من العاهات في الشركة النخميَّة و٩٥ من اوجاع في الهيكل العظمي ككسر العظام واعوجاجها وفسادهـا و١٢٨ من اوجاع المفاصل و٣١ من الامراض الجلدية و٦٩ من الدماميل القيحيَّة و١٠٧ من امراض الخُدار والنقرس و١٥ من داء السرطان و٢٧ من الجروح المؤيسة و٣٤ من العمى او امراض البصر الخبيثة و٢٨ من الصمم التام

فهذه لعمري قائمة تنطق بلسان حالها عما يجري في مدينـة لورد من القوَّات التي اقرَّ العلم بصحتها حتى يصحّ القول بان المعجزات الالهيَّة دخلت اليوم في الطور العلمي وهو امر لا نظير لهُ في التاريخ حتى زماننا فقام العلم الصادق يشهد بازاء العلم الكاذب انَّ المعجزات ليست امرًا وهميًّا مبنيًّا على الخيـال والوهم كما كان يزعم بعض ارباب الغايات بل هي حقائق رضيَّة يمكن نظرها حسًّا والبحث عن مفاعيلها المشهودة . وقد قلنا انَّ هذه القائمة خُمس عشرة سنة فقط واليوم قد تضاعفت الشفاءات المقرَّرة بشهادات الاطباء منذ السنة ١٨٩٧ التي فيها سُردت اللائحة السابق ذكرها . وزد عليهِ انَّ اكثر من نصف المرضى الذي برئوا من اسقامهم لم يرضوا بفحص اللجنة الطبيَّـة فشفوا دون ان يبوحوا بسرّهم . ثم يجب ان يُلحق بكل هؤلاء الذين نالوا الشفاء قبل تشكيل اللجنة الطبيَّة اعني منذ السنة ١٨٥٨ حيث ظهرت البتول الى السنة ١٨٨٢ فيبلغ مجمل

عدد اولئك المعافين من ادوائهم عشرات الالوف. فيا لله ما اقوى هذه البينات للدلالة على صحّة الدين وصدق المعجزات وآيات الله في خلقه

وكل ذلك فضلًا عمن شفتهم سيدة لورد خارجًا عن مزارهـا في كل بلاد الله وعددهم ليس بالقليل. وذلك امّا بنعمة ماء نبع لورد الذي يرسل اليهم وامّا بتعبُّد خاصّ لبعض تماثيلها كما جرى في كنيسة الرهبان المعروفين بالكرجيين (Géorgiens) في الاستانة العليّة فانّ هناك معبدًا باسم سيدة لورد حدثت فيه شفايات غريبة لمرضى وزمنى من كل الطوائف والاديان وقد كثرت حتى جمع تاريخها احد العلماء الفرنسويين سنة ١٨٨٦ (١

هذا ولسنا نزعم انّ كلّ المرضى الذين يذهبون الى لورد او يتوسلون الى شفـاعة مريم العذراء فيها يبرأون. كلّا ثمّ كلّا. فانّ السيدة البتول تشفي من تشاء ومتى تشاء وكيفما تشاء. وعلمنا ان بعض ذوي العاهات لم ينالوا العلاج من دائهم الّا بعد الزمن الطويل او بعد زيارة لورد مرارًا متعدّدة كأن البتول ارادت ان تزيدهم ايمانًا. ومنهم من لم تبرئهم البتّة رغمًا عن ايمانهم الحيّ وثقتهم التامة لعلمها بما هو انسب لنفسهم واجدى نفعًا بخلاصهم فربما كانت صحة الجسد سببًا لهلاك النفس فهؤلاء لم تُجب العذراء الى ملتمسهم بل تعوّضهم من مقصودهم خيرًا افضل وأليق بحالهم

والحقّ يقال انّ سيدة لورد شفت من المبتلين باوجاع النفس وامراض الروح اكثر ممن نجتهم من ادواء الجسد فانّ في لورد وجد كثيرون من الخطأة والكفرة العتق من ربقة آثامهم والنجاة من اغلال كفرهم حتى اصبحت تلك المدينة اليوم كمستوقد النـار يأتي اليه كل من برد قلبهُ يحبّ الارض ليضرمهُ بحب الاخرة وكالمنارة الموضوعة فوق جبل شاهق يستضيء بها المتكمون في ظلمـة الاضاليل وكالقلب في جسم المكونة تجري منهُ الدماء الحيية الى اقاصي العمور لتحيي الشعوب وتجذبهم الى خالقهم الذي لهُ وحدهُ العزّ والثناء الى منتهى الدهور

٢ تدشين تمثال العذراء في لبنان

هو الواقع الثاني الذي قصدنا لسيقاف الابصار اليهِ وعلاقتهُ مع الامر السابق بيّنة

(١ وهذا اسم الكتاب Notre Dame de Lourdes à Constantinople. *Paris*, 1886

جليّة. قد عُرف لبنان واهلهُ منذ سالف الاعصار بتعبُّدهم الخالص لوالدة الاله التي اتخذوها لهم كشفيعة ومحاميةٍ في كل ضيقاتهم حتى كاد يوضع صغارهم حبها مع حليب الامهات. ولو لم نجد شاهداً آخر على قولنا غير المعابد المتعدّدة التي تُكرَّم فيها السيدة البتول في كل انحاء لبنان بل في كل قريةٍ من قراه تحت اسماء وألقاب غاية في الرقة والتفنن كسيدة البيج وسيدة الحصن وسيدة الحقلة وسيدة الزروع وسيدة النجاة وسيدة التلة وسيدة البراز الخ لكان ذلك دليلاً كافياً على صدق قولنا (١

وقد اعتبرت الكنيسة الجامعة نفسها لبنان كأحد اقداس البتول والمقامات التي ترتاح فيها السيدة الطاهرة الى عبادة المؤمنين. وكأنها رأت بين ذلك الجبل والعذراء الجليلة اشباهاً متعدّدة ذكرتها في كتبها الطقسية وألمح اليها الاباء في كتاباتهم. ولا غرو فان الكنيسة والاباء وجدوا في الاسفار المقدّسة اوصافاً للبنان تنطبق مع كمالات البتول الجيدة فاستعاروها لمديح مريم فتارةً يخصّون باطرائها ما يقولهُ الكتاب في مفاخر لبنان كقول لسانها (٣٥: ٢): «قد أُوتيتِ مجد لبنان» وقوله (٦٠: ١٣): «مجد لبنان يأتي اليكِ» وتارة ينسبون الى فضائلها روائح لبنان العطرية التي يعظمها الروح القدس في سفر نشيد الانشاد (٤: ١١) ونبوّة هوشع (١٤: ٧) وطوراً يشيدون بها. شخصها ويعارضونهُ بجمال زهور لبنان (نحوم ١: ٤) او بانشوة خمره الطيبة (هوشع ١٤: ٨) وآنات يعظّمون قدرتها كقوة السيول المتحدّرة من لبنان (النشيد ٤: ١٥) او كطوده الشامخ الناطح برؤوسهِ عنان السماء (المزمور ٧١: ١٦) وكثيراً ما كرروا على مثال الاسفار المنزلة ذكر ثلج لبنان (ارميا ١٨: ١٤) وارزه الشهير (المزامير ٢٨: ٥ و٩١: ١٢ وابن سيراخ ٢٤: ١٧ وحزقيال ١٧: ٣) فشبهوا بالاول طهارة البتول وخلوّها من اثر كل دنس وخطإ. وبالثاني عزّها وطيب عرفها وصبرها على الزمان دون فساد حتى دعوها بأرزة لبنان واضحى ذلك كاحد الالقاب المميزة لها

على انَّ هذه المناقب التي قرّبت لبنان من مريم واستطافت انظار مريم الى لبنان بقيت مكتومة في قلوب اهل ذلك الجبل وفي باطن كيانهم كما يتجلّى الملك لاهل رعيّته في داخل بلاطه فيتقبّل منهم مظاهر اكرامهم وفرائض تعبُّدهم. على انَّ للملوك مواقف

(١) اطلب الكتاب الذي انجز طبعه حديثاً حضرة الاب غودار اليسوعي في مزارات العذراء في لبنان (J. Goudard: *La Sainte Vierge au Liban*)

أخرى يظهرون فيها لشعوبهم علانيةً بلْ عزهم وشرفهم لا يحجبهم عنهم حاجب يرون اهل بلادهم ويراهم هؤلاء فتتبادل بينهم مجالي الحبّ وتتوائق عُرى الاتحاد

وممّا وضعهُ المسيحيون لهذه الغاية السامية في بلاد متعدّدة انّهم اختاروا رؤوس جبالهم ليقيموا في مشارفها تماثيل فخيمة للعذراء ليقع من ثمّ نظرها الوالدي على جميع اطراف البلاد فتصونها من كل المصائب والاضرار. وكان لبنان حتى اليوم خلوًا من تمثال كهذا يكون لهُ كحربة الصاعقة تردّ عنهُ كل الافات والبلايا

فلما كانت السنة ١٩٠٤ وفيها وقع يوبيل العام الخمسين لإعلان قضيّة الحبل بلا دنس رأى غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة الجليلة مار الياس الحويك الكلي الطوبى والجزيل الاحترام ونيافة الطيب الذكر المثلث الرحمات السيد كولس دوقال القاصد الرسوليّ على سوريّة ان يخلدا ذكر تلك السنة المباركة باقامة اثر خطير في لبنان ألا وهو تمثال عظيم يقام في مكان مرتفع ويكون هناك كمنار على علم يراهُ الناظر حيثما سار

وممن سعوا في اخراج هذا الفكر الصالح الى عالم الوجود حضرة الاب الفاضل الهمام لوسيان كاتين رئيس رسالتنا السوريّة وحضرة الاب بيره كاتب اسرار القصادة الرسوليّة سابقاً ورئيس الرسالة الدوميسيكيّة حالًا في بلاد ما بين النهرين فعُقدت لذلك الاجتماعات وتعيّنت لجنة من السيدات الكريمات في البلدة لجمع النفقات الكافية لهذا المشروع. ولا حاجة الى تعداد كل ما ابداهُ الاهلون في بيروت وجهات لبنان من الاريحيّة والحميّة الدينية في بلوغ تلك الغاية الشريفة تاركين لهُ تعالى الذي لا يدع كاس الماء البارد المعطى باسمهِ دون جزاء أن يكافئ بفيض نعمهِ كلَّ من تبرّع بمالهِ لهذا المقصود كثيرًا كان او قليلًا ونحن نعرف انَّ فلس الارملة الفقيرة كثير في عين ذلك الذي يرى القلب قبل الهبة والنيّة قبل العطاء

وما يمكننا التصريح بهِ انَّ التمثال مع البناية التي هي تحتهُ كلّف نحو خمسين الفًا من الفرنكات جُمع منها النصف من هبات المحسنين في هذه البلاد وتبرعت بالقسم الاخر ايدٍ كريمة طلبت ان تبقى مجهولةً لئلا يُبخس جزاؤها عند الله. أمّا المكان الذي شُيّد فيهِ الاثر فقد قدّمهُ مشاطرةً لهذا العمل المبرور غبطة السيد البطريرك ونيافة القاصد الرسولي

وشخص البتول الطاهرة ليس هو كشخص سيدة لورد وانما هو ممثل لدميـة اخرى من دُمى سيدة الجبل بلا دنس فهو على هيئة صورتها التي ظهرت فيها سنـة ١٨٣٠ لراهبة المحبة كاترين لابوره في باريس وحولها هذا الدعاء: « يا مريم البريئة من الخطيئـة الاصلية صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك (١) » فتوافق اذن كل الموافقة يوبيل اعلان عقيدة الجبل بلا دنس ويوبيل هذه السنة اذ كان ظهور العذراء الطـاهرة في لورد لتأييد تلك العقيدة عينها . وهذا التمثال غاية في الروع والبهاء والجمال تلوح منهُ لوائح العفـاف والجلال الملكيّ

وقد سبك هذا التمثال احد معامل فرنسة يتولّاهُ المسيو دورن (Durenne) من اقارب فقيد الرسالة اللعازريّة الطيب الذكر الاب فرنسيس بوتي وقد قام بهذا العلم احسن قيـام ورضي في حقهِ بما هو دون قيمتهِ جودًا وكرمًا وقد جعلهُ ١٢ قطعة وثقلهُ ١٤,٠٠٠ كيلو وبلغ محمولهُ مع صناديقهِ عشرين طنًا وهو الذي عُني بارسالهِ الى بيروت فوصلها تامًّا صحيحاً

وكان نقل هذه القطع الثقيلة من المركب الى البرّ يقتضي تعبًا شاقًّا الّا انَّ همـة مدير المرسى العام المسيو بورگان (M^r Bourgain) ونائبهِ في اشغال المينـا المسيو فلامان (M^r Flamand) قويت على كل المصاعب وأنزلت الصناديق سليمة صحيحة . ولمّا علم المأسوف عليهِ صاحب الدولة مظفّر باشا بان التمثال على رصيف بيروت ارسل تلغرافيًّا الى الاستانة العليَّة يطلب من المرجع الاعلى الرخصة بادخالهِ الى لبنان فتلطّفت الحضرة العليَّة السلطانيَّة حفظها الله واعانت بارادتها السنيَّـة بان تجري لذلك كل التسهيلات اللازمة . ثمَّ نُقلت الصناديق الى محطَّة صربا على ثلاثة قطـارات ومنها جرَّها على عربات ضخمة عشرون رأسًا من الخيل في اواخر تموز من السنة ١٩٠٦

وكان في تلك الاثناء جناب المهندس الفرنسويّ البارع المسيو جيو (Giot) قد وضع رسمًا للبناية التي فوقها يُنصب التمثال . وما هذه البناية غير معبد لطيف ذي سعة كافية لنحو مئتي شخص طولهُ ثمانية امتار في مثلها عرضًا ولهُ مدخل سعتهُ خمسة امتار طولًا في مثلها عرضًا . واذا دُهن ونقش وتمت زينتهُ يكون من اجمـل معابد لبنان

(١) راجع في المشرق (١٠٣٩:٤) خبر هذه الرؤيا بتفاصيلها لاحد اساتذة مدرسة عين طورة العامرة

وأدعاها الى العبادة والتقى . وعلو هذا البناء ٢٢ متراً وهو على شكل مخروط وسوف يزيّن خارجهُ بانواع النبات وضروب الازهار فيصبح أنسب موطنٍ لتقدمي العذراء التي تجعل الكنيسة على لسانها قول سفر النشيد (٢ : ٥) : « أحدقوني بازهار الروض »

وقد تمّ هذا البناء في اوائل السنة الجارية بهمّة الفاضل ابراهيم افندي مخلوف . ثمّ نُصب التمثال فوقهُ فكان علوّ المشهد كلهِ لا يقل عن ٣٧ ذراعاً يُرى على بُعد خمس ساعات . وقد جُعل وجه البتول مائلاً الى جهة بيروت لتبارك تلك المدينة خصوصاً اذ هي مركز الولاية ومرسى لبنان وفيها الممثلون لكل الطوائف المسيحيّة الشرقيّة والغربيّة

ومن يتوقّل الى مقام هذا الاثر الجليل يتحقّق انّهُ قلما يوجد في انحاء العمور مكان مثل هذا جامعٌ لكل محاسن الطبيعة فكأن السماء والارض والبحر توافقت في زخرفتهِ وتنسيقهِ بالبدائع وقد اجتمعت فيهِ طرائف الاعمال البشريّة مع كل مباهج الكون . فنعم العرش الفخيم لتلك التي ندعوها في صلواتنا « سلطانة السماوات والارض » . وحول هذا العرش السامي لبنان بآكامهِ الخضراء ومناظره الفتانة وثلوجه الغرّاء مع عدد من القرى الزهيّة والاديرة العامرة للموارنة والروم الكاثوليك والمقامات الشريفة للبطاريركيات الشرقيّة الكاثوليكيّة كبكركي للموارنة والشرفة للسريان وبزمّار للارمن فتحققت نبوّة البتول بانّ الشعوب كلها تجاهر بتطويبها

اما حفلة تدشين هذا التمثال والمعبد الذي في اسفلهِ فانّها قد جرت بأبهة وعظمة لا نحاول هنا وصفها لما يقتضيهِ الامر من طول الشرح وانّما نُحيل القرّاء الى ما كتبتهُ في ذلك جميع الجرائد الوطنيّة وفي مقدّمتها جريدتنا البشير فانّ هنالك من التفاصيل الشائقة ما يبهج القلب ويفعم الصدر رجاء وحبّاً . وناهيك القول بانّ هذه الحفلات التي لا تبرح من ذاكرة الذين شاهدوها قد ترأسها غبطة السيد البطريرك الذي رأى عند قدمي البتول لبنان كلهُ مجتمعاً معلناً بايمانهِ المستقيم ومعترفاً بفضل السيدة التي حفظتهُ بينها الساهرة من كل الشرور في طول الاجيال وقد احتفل غبطتهُ بقداس حبري يكتنفهُ سيادة اساقفة طائفتهِ الاجلّاء ثم ألقى خطبة نفيسة في تمامد سيدة لبنان استفزّت لها الارواح وطربت الالباب

وهنالك ايضاً قد تصدّر نيافة القاصد الرسولي السامي الشرف السيد فريديانو

تمثال سيّدة لبنان

جيانيني شاكرًا الله على انهُ مكنهُ من مشاهدة هذا الاثر الجليل بعد ان كدَّ وجدَّ في انجاز نيات سلفهِ المبرور فجازاه الله بنظرهِ تامًّا كاملًا مع قربهِ من دار القصادة الرسولية في لبنان حيث تسكب البتول فيض نعمها على نوَّاب الكرسي الرسولي وتقويهم على رفع شان الكنيسة الرومانية وتعزيز الدين الكاثوليكي المستقيم في شرقنا العزيز

وقد قام نيافتهُ بتدشين المعبد والتمثال على وفق الرتبة المقرَّرة في الكتب الطقسية فطاف بالمعبد مصليًا ورقي الى اوج المنارة حيث شخصُ البتول فباركهُ ونضحهُ بالماء المقدَّس وطلب الى العذراء ان يكون ذلك المقام معدن نعمة وبركات على كلّ من يؤمهُ زائرًا

وقد كان سيادتهُ سبق وارسل الى الاعتاب الرسولية رسالةً برقية يعلم بها قداسة الحبر الاعظم بالحفلة التي اتفق مع غبطة السيد البطريرك على عقدها في ذروة لبنان. فاجاب نيافة الكردينال ماري دلتال كاتم اسرار قداسته بنبا برقيّ انَّ امام الاحبار يشكر ويبارك زعماء تلك الحفلة والاكليروسين اللاتينيّ والشرقي والشعب كلهُ

وكان الكرسيّ الرسولي بايعاز سيادة القاصد تكرَّم بمنح نعمة أُخرى لمقام سيدة لبنان وهي: ١ً غفران كامل على الشروط المعلومة (اي الاعتراف بالخطايا وتناول القربان الاقدس والصلاة على نيات الحبر الاعظم: يربحهُ اوَّلًا كل من يزور معبد سيدة لبنان يوم التدشين وثانيًا الجموع التي تقدم الى زيارة هذا المقام في ايّ يوم كان من ايام السنة. ٢ً غفران غير كامل سبع سنين وسبع اربعينيات ينالهُ كل زائر يزور المعبد بشواعر التقوى والعبادة وذلك في كل يوم من ايام السنة. فلا نلبث ان شاء الله ان نسمع قريبًا بتوارد اهل لبنان الى هذا المقام الجليل فيجاهروا بتعبُّدهم المألوف نحو والدة الاله وشفيعة جبلهم المبارك لتفيض عليهم ينابيع نعمها وتصونهم من كل اضرار النفس والجسد. امين اللهمَّ امين

ونختم هذه الاسطر بذكر الكتابة اللاتينية التي نُقشت على رخام وجُعلت في جدار داخل المعبد الجديد وهي ملخص ما رويناهُ في الصفحات السابقة:

Dei gloria Libani data est per sæcula
B. M. V. Deiparæ Immaculatæ
Hoc monumentum
I.mo a pontificia definitione anno recurrente
Communi consilio inceptum
Delegatio Apostolica Syriæ
Atque Antiochenus Syro-Maronitarum Patriarchatus
Ad finem feliciter perductum
Ex voto dedicarunt
Solemniterque consecrarunt
Anno Domini MCMVIII
I.mo tum ab apparitionibus ad oppidum Lourdes
Tum ab initio Sanctissimi Patris
Pii Papæ X Sacerdotio.

(تعريبهُ) كرَّست هذا الاثر الديني تعادة سوريَّة الرسولية والبطريركية المارونية الانطاكية بعد اتفاق كاتبيها على المباشرة به وانجازهما له باليمن والسعد فاوفتاهُ نذرًا لمن أُوتيت مجد لبنان الطوباويَّة مريم العذراء والدة الله البريئة من كل عيب في السنة الخمسين من تحديد الحبر الرومانيّ العتيدة الجبل بلا دنس واحتفلتا بتدشينهِ في السنة المسيحية ١٩٠٨ الرافقة للعام الخمسين من ظهور السيدة في لورد ومن كهنوت الاب الاقدس بيوس العاشر

الى سيدة لبنان

أيا جَبَل الله الجليل ألا افتخرْ بمريمَ أمّ الربّ مالكةِ القدسِ
اتتكَ بثوبِ شبه ثلجك طاهرٍ وحسنٍ بلا مثلٍ يفوقُ على الشمسِ
لها عَرْف فضلٍ فوق زنبقك البهي تعطّر ارواحَ الملائكِ والانسِ
تمدُّ يديها بالهبات لمن يشا فحاشا لأمٍ أن تخيّب ذا البؤسِ
فهنيًا بني لبنان أمُوا لذا الحِمى تنالوا مُنى الدارَيْن للجسم والنفسِ

صورة الكتاب في الجزء الأول